سينما

وثائقيّ ساخر عن العنصرية

«أسود بكل بساطة»

يتناول «أسود بكل بساطة» مسائل متعلّقة بالعنصرية في فرنسا، من دون الانزلاق إلى جدّية الطرح، بل بالاعتماد الكبير على السخرية والكوميديا

باريس ـ **ندى الأزهري**

جاء فيلم «أسود بكلّ بساطة» في وقت مناسب، من دون أنْ تكون له علاقة بما حدث في أميركا من تظاهرات مؤيّدة للسود، بعد حادثة جورج فلويد، ولا بردود الفعل الفرنسية المتضامنة. تحضيراته وتنفيذه سابقان لهذا. ومع فكرة مسبقة حول هذا النوع من الأفلام، لكونها ملتزمة ومتوقَّعة بعض الشيء، وما يفرضه هذا من حذر، فإنّ مُشاهدة «أسود بكلّ بساطة» لجون واكس وجان . باسكال زادي، المعروض في الصالات الفرنسية منذ 8 يوليو/ تموز 2020، تتيح مفاجآت عدّة، خصوصاً بالنسبة إلى معالجته أسئلة حقيقية بأسلوب مبتكر وطريف وممتع.

زادي ممثّل وفكّاهيّ وسيناريست ومخرج أسود. في فيلمه الأول هذا، يجرؤ على تناول أمور لم تُعد عادية تماماً. يُمكن القول إنّها حرجة وحسّاسة. أوّلها وأبسطها وصف الشيء بالشيء. ففي فرنسا اليوم، تتحرّج فئات كثيرة من قول «السود»، وحين يتطرّق الحديث إلى أحدهم يُلجأ، كما يحصل في مجتمعات عدّة، إلى لغة أجنبية، فيقال «بلاك» بالإنكليزية تخلّصاً من عبء معنى الكلمة وإيحاءاتها، وتجنّباً لاتّهام بالعنصرية. لكنّ زادي يُعيد استخدامها بكلّ صراحة: «قُلْ أسود بكلّ بساطة، فمن المثير للسخرية قول «بلاك». ألسنا سود البشرة»؟، يقول له صديقه الممثل فاري في الفيلم، وهو أسود أيضاً، ويؤدّي دوره الحقيقيّ فيه.

ليس الفيلم روائياً ولا وثائقياً. يفتعل الأسلوب الوثائقي في السرد، ويبنيه على اسكتشات توحّدها فكرة محورية. يؤدّي الممثلون أدوارهم الحقيقية في الحياة، كشخصيات مشهورة. لزادي دور رئيسي فيه، ويدعوه الجميع ج.ب.، اختصاراً لاسمه الأول. يحضر كممثل فاشل (40 عاماً). ربما لهذا يُقرّر تنظيم أول مسيرة احتجاج سوداء كبيرة في فرنسا. لكنّ اجتماعاته ونقاشاته، الهزلية غالباً، مع شخصيات مؤثّرة في الفنّ، لإقناعها بمساندته، والدعم المهمّ من فاري، الممثل المشهور في الواقع والفيلم، تُصبح تلميحاتٍ ذكية وساخرة، وأحياناً غبيّة مقصودة وخفيفة الظلّ، لإدانة الأفكار النمطية للأطراف جميعهم، حول السود ووضعهم في فرنسا.

من البداية، قال ج. ب. إنّ هناك كاميرا تُصوّر استعدادته للمظاهرة، ولقاءاته مع الجميع، تتبعه طول الوقت لتسجيل المواقف. في نهاية كلّ لقطة، يوجّه نظره إلى المصوّر، ليبدو الفيلم كأنّه وثائقي عنه. شخصيته خرقاء بعض الشيء، ومشوّشة الأفكار، ومُبالِغة قصداً عن شخصيته الحقيقية في الواقع، وفي آرائها وأسلوب طرحها. لعلّه نوع من تحريض المشاركين معه في الفيلم على التجاوب وإظهار ردود فعل غريبة واستثنائية تطيل الموقف، وتجعله أكثر تميّزاً وجذباً. لا شيء يوقف إصراره ومتابعته لنيل ما يريد. يهتمّ بالشهرة والحديث عنه في وسائل التواصل الاجتماعي. هذا يُفسّر قراره الفجائي بتنظيم هذه المسيرة الشعبية، رغم عيشته الهانئة، اللامبالية عادةً بمفاهيم الهوية، مع زوجة بيضاء وأولادهما. قرار فجائي، يبدو أنّه غير مستعدّ له تماماً، إذْ تسيّره أفكار غريبة وتوصيفات لا تقوم على أساس منطقيّ، ولا على تفسير أو تبرير مقنع لها لديه وللآخرين. مثلاً، يعتقد أنّ اللون هويتهم المشتركة، لذلك يحصر المشاركين بالمظاهرة التي ينظّمها بـ«الرجال» السود. لا نساء سود ولا بيض البشرة، وإنْ كانوا يؤيّدون حقوق السود. يعتقد أيضاً أنّ تأثيرها سيكون هكذا أكثر فعالية.

> افتعال أسلوب وثائقي في السرد والبناء على اسكتشات

تحديده موعداً للمظاهرة متوافق مع تاريخ إلغاء العبودية. حين قيل له إنّه تاريخ أبيض، يغيّره ببساطة، ويقبل بأوّل اقتراح. في تساؤلاته عن الهوية السوداء عنصرية وذكاء أيضاً، فهذه أفضل وسيلة للهجوم على التعصّب الهوياتي. تجلّى هذا في مَشاهد وحوارات عدّة، كاعتباره أحد الممثلين السود خائناً لهويته، لأنه لا يترك شعره مجعّداً. في لقائه الممثل المعروف عمر سي (له «المنبوذون» لإيريك توليدانو وأوليفييه نكّاش، 2011)، الفرنسي من أصول سنغالية وموريتانية، يصمّم غاضباً على تركه فجأة، لاعتقاده هذا: «مريب أنْ تكون أسود ومُصنّفاً على لائحة الشخصيات المفضّلة لدى الفرنسيين».

فهل على الأسود أنْ يكون شخصية غير محبوبة في فرنسا، ليكون مخلصاً للقضية؟ هل عليه ترك شعره مُجعّداً لينتمي إلى السود؟

لا شيء يقف أمام صراحته، فعلى بساطتها تبدو الشخصية مُركّبة في تعاملها مع وضع معقّد وآراء عدّة ليست مقنعة بالضرورة، أو لا تريد إظهار الانتماء إلى عرق ما، فهو مصمّم على حصرها فيه. في مشهد نعت صحافية ناجحة بأنّها «سوداء»، يُصرّ . رغم إنكارها . على انتمائها العرقيّ، ودور الانتماء هذا في نجاحها، بسبب التمييز الايجابي. تساؤلاته عن الهوية السوداء، المرتبطة بأفريقيا غالباً (بحسب رأيه)، يُعبّر عنها في مشهد يجمعه بماتيو كاسوفيتس، المخرج الفرنسي الأبيض، فيقول له هذا بكل حميّة، وهو يختبره لأداء دور مكرّس لأسود من أفريقيا، لا من ضاحية فرنسية: «الأفريقي هو هنا (مُشيراً إلى القلب)، لا في اللون»، فهو الأبيض أكثر أفريقية منه.

ج. ب. لا يتجنّب أيّ موقف، مهما كان مُحرجاً. يتلاعب بالأفكار النمطية، مُعتمداً أسلوبي الدعابة والتحريض، ليُخرج محدِّثه عن طوره، فيحصل على ردود فعل متنوّعة. «أسود بكلّ بساطة» وثائقيّ عن الهوية والعيش المشترك والعنصرية والصوابية السياسية، تختلط فيه المواقف بين تمثيل وواقع، يصعب التفريق بينهما، لا سيما مع انقلاب معظم لقاءات ج. ب. مع المشاهير إلى شجار وخلاف، إذْ يُعبّر كلّ واحد منهم عن نظرته الخاصة المتعلّقة بالسود والتعصّب الهويّاتي.

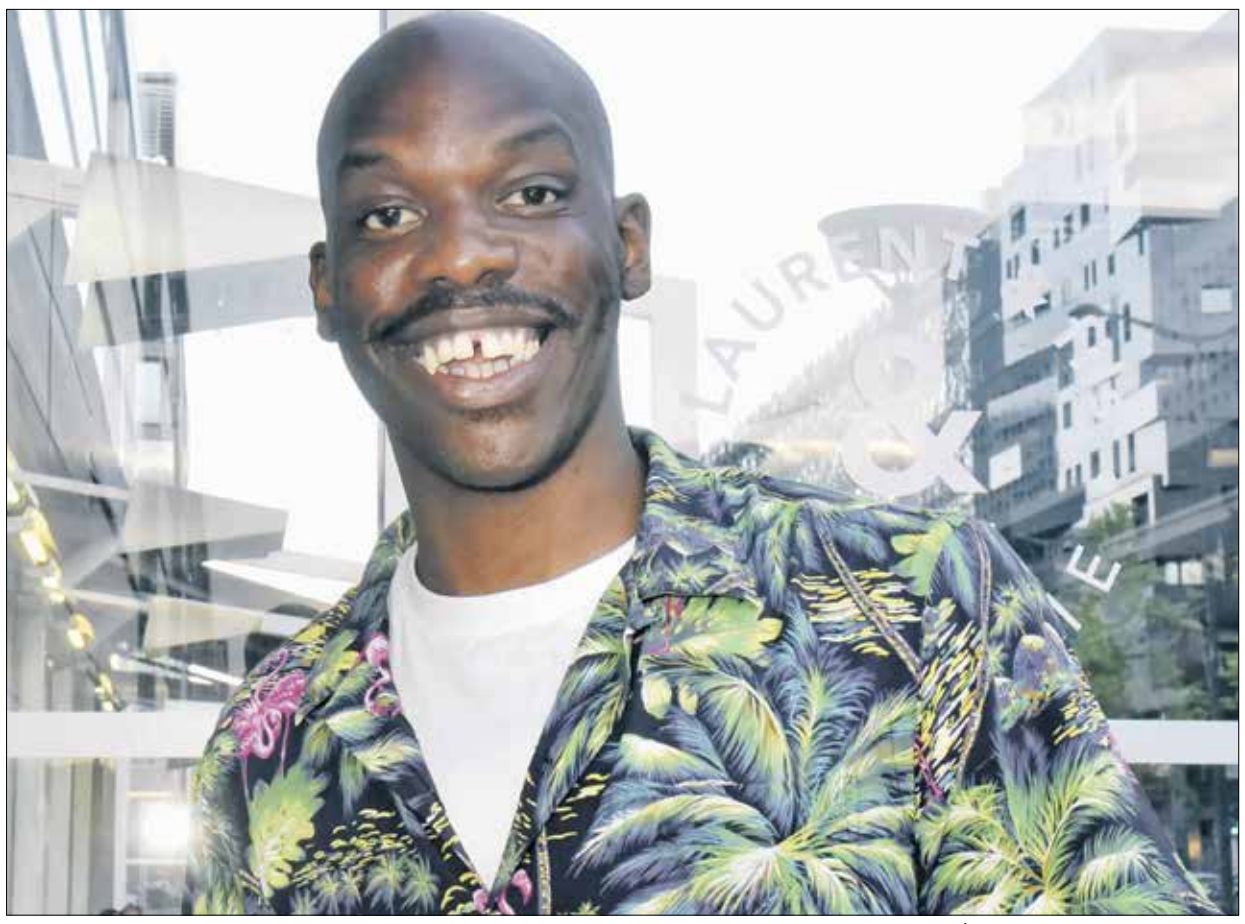

جان . باسكال زادي: «ألسنا سود البشرة»؟ (فوك كان/وايرايماج/Getty)

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

«الكاره» البولنديّ: مرآة وقائع واضطرابات

نديم جرجوره

من احتيال جامعي يُكلّفه طرداً من الدراسة، يبدأ توماس (ماسييياج موسيالوفسكي)، رحلة التلاعب بالناس والأفكار والأقارب، ممتلئاً غضباً ورغبةً جامحة في الانتقام من المحيطين به. ذكاء قوي، وحنكة في ابتكار فرص للانقضاض على آخرين يُراد تحطيمهم، وبراعة في كلام يُغري المستمع إليه، مع أنّ معظم مستمعيه يُدركون ألاعيبه؛ ينصرف الشاب إلى تأكيد حضور طاغٍ في مؤسّسة تمارس تلك الألاعيب القذرة في الصراعات الدائرة بين متنافسين، يبلغ تنافس بعضهم مع البعض الآخر حدود الإقصاء النفسي والاجتماعي، والماديّ أيضاً.

يُمكن وصف توماس بـ«الكاره»، بحسب العنوان الإنكليزي لفيلم بولنديّ تعرضه المنصّة الأميركية «نتفليكس» منذ 29 يوليو/ تموز 2020، بالتزامن مع بدء عروضه الفرنسية أيضاً، علماً أنّ عرضه في بولندا حاصلٌ في 6 مارس/ آذار الماضي. لكنّ الفرنسيين يضعون له عنواناً آخر (طعم الكراهية)، يقترب من الأصل، ويكشف جانباً أعمق في ذات الشاب الباحث عن موقع ومكانة، وعن منفذٍ لخلاص أو لحضور.

رغم هذا، يتمتّع «الكاره» ليان كوماسا (1981)، بميزة الواقعية البحتة، المستندة إلى قصّة حقيقية ستكون خلفية درامية متينة الصُنعة لحكاية توماس، المرتبط سينمائياً فقط بمن يتعرّض للاغتيال. والاغتيال يهزّ «غدانسك» (شمال البلد)، في 13 يناير/ كانون الثاني 2019، إذْ يحصد عُمدة المدينة بافل أداموفيكس أعداء كثيرين، ما يؤدّي إلى قتله، بسبب ليبراليته غير المُحتَملة، فيستفيد منها «الكاره» لجعل النصّ السينمائيّ مرآة تعكس وقائع بلدٍ واجتماع ونزاعات وأحقاد، وتطرح تساؤلات عن دَور وسائل التواصل الاجتماعي والتقنيات الحديثة في بثّ السموم والأحقاد، وفي التلصّص على حيوات الأفراد، وفي التلاعب بكلّ شيء.

فـ«الكاره» منفتح على مسارات متوازية، تلتقي في شخصية توماس، الذي يمتصّ حالاتٍ وانفعالات، قبل أن يصنع منها صُوراً لعيشٍ في راهنٍ غارقٍ بانشقاقاته وارتباكاته ومَتاهاته وصراعاته المحتدمة بين أناسٍ وأفكارٍ وتوجّهات.

توماس جزء أساسي من لعبة المصالح والانتقامات. يُطرد من كلّيته لسرقته نصوصاً وأفكاراً في أحد فروضه، فيتحوّل إلى وحشٍ ينقضّ على الجميع، باستثناء قريبة له تُدعى غابرييلا (فانيسا ألكسندر)، مع أنّها لن توليه اهتماماً في البداية، كوالديها اللذين يسخران منه بعيداً عنه، من دون أنْ يعرف أحدٌ منهم أنّ هاتفاً له موضوعٌ في غرفة الطعام، كي يستمع إليهم. الغضب غير ظاهرٍ في ملمح من ملامحه، لكنّه المحرّك الأساسيّ الذي يدفعه إلى ارتكاب أفعالٍ لن يندم عليها، رغم أنّها تبلغ مرحلة القتل، الذي يُحرّض عليه تلبية لرغبات آخرين.

يمزج «الكاره» بين تشويق منفتح على السياسة والعلاقات والإعلام الافتراضي والاجتماع «الكاثوليكي» غير الموافق على مثليي الجنس مثلاً، وانتقادٍ مبطّن وحادّ لوقائع العيش في لحظات الارتباك السياسي والاجتماعي والثقافي، ومتانة الحبكة في متابعة أحوال توماس، وأحوال المحيطين به عبره.

> انتقاد مبطّن وحادّ لوقائع العيش في لحظات الارتباك

يان كوماسا: تشويق وانتقاد لاجتماع بولنديّ (رولان إكْكَنْروث/Getty)

أقوالهم

لا يوجد أي سبب يدفعني اليوم إلى رفض ما كان يُمكنني أنْ أفعله بشكل عفوي قبل 15 عاماً. التمثيل مهنة تُمارَس. لا يُمكن للمرء أنْ يُمثّل أمام مرآة. واضحٌ أنّ هذا الأمر لا «يعمل» بفعالية بشكل دائم. لكن المؤسف كامنٌ في عدم محاولة القبول منذ اللحظة الأولى التي أشهد فيها تحدّث الشخصية معي.

إلزا زيلبرشتاين

أظنّ أنّ اختيار فيليب غاريل لي نابعٌ من عدم مشاركتي التمثيلية في أي فيلم سينمائي قبل حضوري محاضراته. لعلّه رأى فيّ الامتلاء الكبير للشخصية أمام الكاميرا، ومن دون شكّ انتبه إلى أنّي لا أصنع فرقاً مع المسرح، وأنّ هذا يتلاءم مع بيتسي (شخصيتها في «ملح الدموع»)، الشابّة الحرّة والواثقة من نفسها، وهذا لا علاقة له بي في الحياة.

سهيلة يعقوب

أفعالهم

Mandibules لكوانتن دوبيو، تمثيل **أديل إكسكوبولوس** (الصورة): جان . غاب ومانو صديقان بسيطا القلب والعقل والروح. يعيشان معاً منذ زمن بعيد. ذات يوم، يعثران على ذبابة عملاقة، عالقة في صندوق سيارة. يُقرّران سريعاً أنْ يتعاملا معها، فأخذاها إلى منزلهما، ليبدآ بتدريبها على القيام بأعمالٍ معيّنة، رغبة منهما في جني المال بفضل عروضٍ لها أمام الناس.

The Green Knight لديفيد لوري، تمثيل **أليسيا فيكاندار** (الصورة) وديف باتل: يوافق السير غوفان، أحد فرسان الطاولة المستديرة، وابن شقيق الملك آرثر، على التحدّي الذي أطلقه فارس أخضر غامض. ينصّ التحدّي على قطع غوفان رأس الفارس، للخروج منتصراً. لكن الفارس الأخضر «يخرج» من المبارزة حاملاً رأسه بين يديه.

أخبار

◆ أعلنت إدارة «مهرجان عمّان السينمائي الدولي . أول فيلم»، الحامل شعار «أول دورة، أول مهرجان من نوعه في الأردن»، أنّ دورته الأولى ستُقام في العاصمة الأردنية بين 23 و31 أغسطس/ آب 2020.
وبحسب بيان صادر عنها، ذكرت الإدارة أنّ غالبية العروض ستكون في «سينما درايف إنّ» والهواء الطلق، «حفاظاً على شروط السلامة العامّة»، في ظلّ تفشّي وباء كورونا. أضاف البيان أنّ المهرجان «يُركّز على الأفلام الأولى في مختلف الفئات»، وأنّ هناك «برنامجاً خاصّاً بصنّاع الأفلام، بما في ذلك منصتان لتسويق المشاريع (قيد التطوير وفي مرحلة ما بعد الإنتاج)». وذكر البيان أنّ «جائزة السوسنة السوداء» ستكون لأفضل فيلم روائي عربي طويل (الأول للمخرج أو السيناريست أو الممثل/ الممثلة الرئيسيّ)، ولأفضل فيلم وثائقي عربي طويل (الأول للمخرج)، ولأفضل فيلم قصير عربي (الأول للمخرج)، بالإضافة إلى «جائزة الجمهور» لأفضل فيلم دولي طويل (روائي أو وثائقي)، على أن يكون الأول لمخرجه.

◆ اختار «مهرجان الجونة السينمائي»، بشكلٍ رسمي، عدداً من أبرز الأفلام الدولية الحديثة، لعرضها في دورته الرابعة، المُقامة بين 23 و31 أكتوبر/ تشرين الأول 2020، بعد تأجيلها أسابيع قليلة عن الموعد السنوي في سبتمبر/ أيلول: «حكايات سيئة» لداميانو وفابيو دينوسينزو، و«أيام أكلة لحوم البشر» لتيبوهو إدكينز، و«مُشعّ» لريتي بان، و«امسح التاريخ» لبونوا ديلوبان وغوستاف كيرفرن، و«برلين ألكسندربلاتز» لبرهان قرباني، و«أب» لسردان غوبولوفيتش، و«سقوط» لفيغو مورتنسن، و«بانكسي أكثر المطلوبين» لأوريليا روفي وشايموس هايلي، وغيرها.

◆ خصّصت المجلة السينمائية الشهرية الفرنسية «دفاتر السينما» صفحات عدّة في عددها الأخير (يوليو/ تموز . أغسطس/ آب 2020) بالسينمائيّ الفرنسي إريك رومر، بمناسبة الذكرى المئوية الأولى لولادته (21 مارس/ آذار 1920 . 11 يناير/ كانون الثاني 2010). وتحتوي الصفحات على صُور فوتوغرافية بالأسود والأبيض، ونسخ من قصاصات مكتوبة بخط يد رومر، ومقالات لكلّ من ماركوس أوزال وفيليب فوفال وبيار ليون وباسكال دوسابان وايمانويل بيرايْري.